

التبيان في تفسير القرآن

(48) (ساجدين) (1) فان قيل: كيف يجوز إضافة اللعن إلى ما لا يعقل من البهيمة والجماد؟
قيل: لامرين احدهما - لما فيه من الآية التي تدعوا إلى لعن من عمل بمصية الله. والثاني -
أن تكون البهائم تقول على جهة الإلهام لما فيه من الاعتبار. قوله تعالى: " إلا الذين
تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم " (160) آية بلا خلاف.
المعنى: استثنى الله تعالى في هذه الآية من جملة الذين يستحقون اللعنة من تاب، وأصلح،
وبين، واختلفوا في معنى " بينوا " فقال أكثر المفسرين، كقتادة، وابن زيد، والبلخي،
والجبائي، والرماني: إنهم بينوا ما كتموه من البشارة بالنبي (صلى الله عليه وآله) وقال
بعضهم: بينوا التوبة، وإصلاح السريرة بالاطهار لذلك. وإنما شرط مع التوبة الإصلاح، والبيان
ليرتفع الإيهام بأن التوبة مما سلف من الكتمان يكفي في إيجاب الثواب. ومعنى قوله تعالى
(أتوب علمهم) أقبل توبتهم. والأصل في أتوب أفعل التوبة إلا أنه لما وصل بحرف الإضافة دل
على أن معناه أقبل التوبة، وإنما كان لفظه مشتركا بين فاعل التوبة، والقابل لها،
للتغيب في صفة التوبة إذ وصف بها القابل لها، وهو الله وذلك من إنعام الله على عباده،
لئلا يتوهم بما فيها من الدلالة على مقارفة الذنب أن الوصف بها عيب، فلذلك جعلت في أعلا
صفات المدح، والتوبة هي الندم الذي يقع موقع التنصل من الشيء وذلك بالتحسر على موافقته،
والعزم على ترك معاودته إن أمكنت المعاودة. واعتبر قوم المعاودة إلى مثله في القبح.
وهو الأقوى. لاجتماع الأمة على سقوط العقاب عندها، وما عداها فمختلف فيه. فان قيل: ما
الفائدة في هذا الخبر، وقد _____ (1) سورة يوسف آية: 4.